العدد (4090) السنة الخامسة عشرة - الإثنين (18) كانون الأول 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

عبدالله إبراهيم شاهداً على ما جرى في العراق زمن الدكتاتورية

د. فائق مصطفى

أخذت السيرة الذاتية، في الأدب العراقي المعاصر، خلال السنوات الاخيرة، تحظى بعناية المبدعين والسياسيين، اذ صدر عدد لابأس به من السير الذاتية العراقية خارج العراق، مثل سير نجيب المانع وصلاح نيازي وحياة شرارة وإبراهيم السامرائي. وأخيرا صدرت في قطر سيرة المفكر والناقد السردي البارز الدكتور عبدالله إبراهيم بعنوان (أمواج). لقد إستمتعت وأفدت كثيراً من قراءة هذه السيرة لأسباب عدة سأذكرها، فضلا عن معايشتي لكثير من الأحداث الواردة فيها، ولاسيما ما دار منها في مدينتي (كركوك)، وإسهامي في مناقشة أطروحة الكاتب للدكتوراه في جامعة بغداد. ما أسباب إعجابي بهذه السيرة الذاتية العراقية؟

١- لقد تحقق فيها، بشكل جلي، ما يقوله إحسان عباس في أول كتاب عن السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث (فن السيرة): "الغاية الاولى التي تحققها السيرة الذاتية هي الغاية المزدوجة التي يؤديها كل عمل فني صحيح، أعني تخفيف العبء على الكاتب بنقل التجربة الى الآخرين، ودعوتهم الى المشاركة فيها، فهي متنفس طلق للفنان، يقص فيها قصة حياة جديرة بأن تُستعاد وتقرأ، وتوضح موقف الفرد من المجتمع، كما تمنحه الفرصة لإبراز مقدرة فنية قصصية الى حد كبير، وتُريحه نفسياً لأنها تستند الى الاعتراف". إن تجربة عبدالله إبراهيم تجربة إنسانية غنية تتمثل في مساعي تحقيق الذات والتمايز والتفرد وسط ظروف صعبة وقاسية خلقتها بيئة ريفية متخلفة في طفولته وحكم استبدادي شمولي، وحروب طاحنة عدة، لكنه مع كل هذا، استطاع الوصول الى ما أراد، فأنهى دراسته الجامعية ونال الدكتوراه وصار مفكراً وناقداً يقف في طليعة نقاد السردية العربية.

٢- تقدّم السيرة شهادة موضوعية حية عمّا عاشه وشاهده في العقود الثلاثة الاخيرة من القرن الماضي، وهي العقود التي سادت فيها الدكتاتورية والاستبداد والحروب، فجاء عنها نقد قائم على الملاحظة الدقيقة والتحليل العميق، كما نقرأ عن المجتمع العراقي والثقافة في تلك العقود: "كلما أنعمت النظر في العلاقة بين صدام والعراقيين وجدتها مرتبكة وخاضعة لنظرة دونية إليهم من طرفه، فقد صمّ أذنيه عن حاجاتهم المادية والمعنوية، وعايرهم بأنهم كانوا حفاة قبل عهده، واليه عُزي الفضل في تمدينهم وتحديثهم، فكل ما يستحقون وُصف بأنه مكرمة القائد لشعبه. والحال هذه، إن تراجعا متواصلا للثروة القومية، سواء أكانت مادية أم فكرية، وقع في عهده، فنَضَب معين المادي منها لأنه بُدد في الحروب والتسلح والامن، وانتهى المجتمع الى ان يكون كسيحا يسعى على بطنه، فهو يحتل المواقع الاولى للفقر بين شعوب الارض وانحسر الفكر وتراجع، فلم يبشهد عهده ازدهارا ثقافيا يُشار اليه بالبنان، فالثقافة وضعت في خدمة الايديولوجيا واندمجت بها وعبرت عنها، ولم يُسمح لها بأداء وظيفة تنشيط الوعي العام للمجتمع" (أمواج/٤٠٤). وهذه الشهادة، في الوقت نفسه، تأتي بأدلة مقنعة وعرض مختلف الآراء المتعلقة بالأحداث والموضوعات التي يعرض لها في السيرة.

٣- تحمل السيرة فكراً تنويرياً، نحن بأمس الحاجة اليه في ظروفنا الحالية. فكر عقلاني يؤمن بالمواطنة التي لا تقيّمُ الفرد على وفق دينه او قوميته او مذهبه، بل على وفق شخصيته وعمله وأخلاقه، فمثلا نقرأ: "كانت كركوك مثالاً لعالم متعدد ومتناغم، ولم يكن سؤال الهوية الصافية مطروحاً، وكنت أجهل الخلفيات العرقية والدينية لكثير ممن رافقتهم في مقتبل عمري. ولكنني لم أنجُ من آثار ذلك بعد الاحتلال الاميركي، فحينما شرعت في كتابة هذه السيرة، وقد أردتها مدونة اعتراف وليس تبريرا، وأستعدت فيها شطرا من حياتي في كركوك، وجدتني أعرِّف اصدقائي بأعراقهم وربما بأديانهم. على أن ذكر ذلك لم يأتِ إلا على سبيل التعريف والاشارة الى الانتماءات الطبيعية، وليس له اية حمولة ايديولوجية، وخشيت ان يكون إغفاله نوعا من التعتيم على التنوعات الخصبة فيها، وعدم الاعتراف بخصوصيتها الثقافية، فأنا أروي لمتلق لم يعلم، في الغالب، إن تعريف الشخص بقوميته او دينه او مذهبه، يُعد خلال سبعينيات القرن العشرين، انتقاصا وسُبّة" (أمواج/١٨). ومن ذلك الاعتراف باستقلال شخصية الفرد والتخلي عن ثقافة القطيع القائمة على ذوبان الفرد في المجموع، ونبذ ثقافة تغليب الذكورة على الانوثة، وتمجيد التسامح، والاستشهاد بأقوال الفلاسفة الغربيين مثل قول (نيتشه) "إن اليقين الجازم، وليس الشك، هو الذي يقتل" (أمواج/٣٩٦).

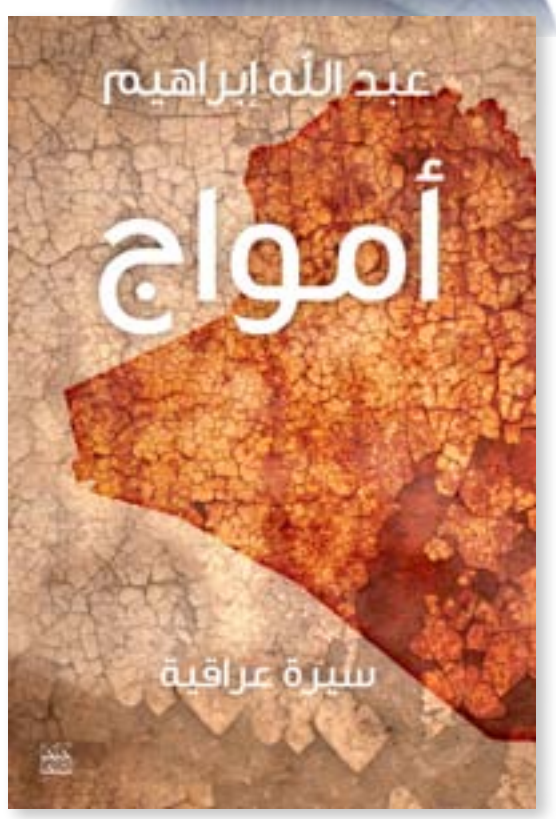

٤- الصراحة: وهي من مزايا السيرة الذاتية الرصينة التي عرفتها الاداب الغربية مثل سيرة القديس اوغسطين وسيرة روسو اللتين قامتا على تعرية النفس في حالات كثيرة تلتبس بالآثام وتصوير تجارب ذاتية يصعب على المجتمع قبولها. نلقى الصراحة هنا في ايراد الكاتب ونقده لسلبيات ظهرت عنده في بعض مراحل حياته. كذلك تتجلى الصراحة في تصوير علاقاته العاطفية مع المرأة، وقد عبّرت الروائية والمترجمة المبدعة لطفية الدليمي عن هذا الجانب من السيرة بشكل دقيق: "يعترف الدكتور عبدالله ومنذ وقت مبكر بالتأثير الذي لعبته الانثى الصغيرة (المرأة لاحقا) في حياته. وقد ركّز كثيراً على هذا الجانب عندما أشار غير مرة الى ثلاثية (القراءة-الكتابة-المرأة) باعتبارها الترياق الشافي للجدب الروحي الذي كان يحيق به في بعض اطوار حياته. ونلمح في كتابة الدكتور عن المرأة نوعا من الصوفية الايروتيكية التي تسعى لتوظيف اندفاعات جسدية محسوبة في بلوغ مرتقيات الطهرانية الروحية الكفيلة بغسل أدران الحياة عن الروح ومدها بالعزيمة للمضي في تحقيق الاهداف المرسومة بجرأة وثبات" (جريدة المدى،٢٠١٧/٩/٢٧).

٥- السرد البارع والممتع القائم على تقنيات السرد المعروفة مثل خرق التسلسل الزمني عن طريق الاسترجاع والاستشراف والمشهد (الحواري والتصويري) والوقفة (الوصف والتعليقات الفلسفية)، وكل ذلك قرّبَ السيرة الى الرواية.

٦- الاسلوب البليغ والرصين المعبّر بدقة عن خلجات النفس ورؤى الفكر والمواقف والمشاهد الحسية المتنوعة، ويكاد في بعض المواقف يتحول الى شعر: "طوّقني نعاس الظهيرة، وأسقطني أسيرا له كحمل ثقيل. عيناي مثبتتان على الاشجار التي لم تثمر بعد. وربما لن تثمر مادمت حيا، والكرسي يئنُّ تحتي متوجعا كأنه ينوح، ورجلاي ترفسان تراب الحديقة.." (امواج/٣٠٥). وفي الوقت نفسه نرى عنوان السيرة (أمواج) بعيدا عن المباشرة والتصريح، فما العلاقة بين سيرة عبدالله ابراهيم والأمواج؟ لكن الكاتب يوضح هذه العلاقة في الصفحات الاخيرة من السيرة قائلا: "أمتصت الايام دهشتي بالبحر، ونمت الألفة بيننا، وتقوت الصحبة، فكنت أمضي ساعات العصر في مراقبة أمواجه مقبلة الى الساحل الرملي حيث تتبدد زبدا راكدا، فتعقبها أخرى، وأخرى، ومنها خطرت لي فكرة "الأمواج" التي جعلتها نظاما لمراحل حياتي في هذه السيرة" (أمواج/٤٩٠). ومثل ذلك عناوين الفصول (الأمواج) والعناوين الفرعية مثل (بيضة الريح)، (حمار البراري وعاهرة سومر)، فكلها تحمل ظلالا شعرية تغري بقراءة محتوياتها.

وبعد، فهل بعد هذا كله نجانب الصواب إذا قلنا: إن سيرة عبدالله ابراهيم جديرة بالقراءة والعناية، وجديرة بأن تكون لها مكانة متميزة بين السير العربية المعاصرة؟

البرج العاجي

▪ فوزي كريم

منحنياً بإجلال لما لا أعرف

في منتصف العمر ينتخب "ماوي" للعيش، في جزر "هاواي"، الولاية الأمريكية الخمسين، وبحكم انجذابه المبكر للطبيعة يُفتن بالنخلة، فيشتل شجرة في كل يوم، وتصبح غابة النخيل مرعى لقصيدته. إنه الشاعر الأمريكي ميرون W. S. Merwin ، الذي تحتفي الأوساط الأدبية بعيد ميلاده التسعين، وهوَ في حمى نشاطه الانساني والإبداعي. المخرج "ستيفان شايفر" يُخرج عنه فيلماً وثائقيا بعنوان "على الرغم من أن العالم أجمع يحترق"، وهو بيتٌ شعري من إحدى قصائده التي بعنوان "إضاءة المطر":

طوالَ اليوم، ومنذ زمن، تُواصلُ النجومُ رقابتَها
إنني راحلة الآن قالت لي أمي
وحين أتركك وحيداً ستظل على ما يُرام
وستعرف عن دراية أو غير دراية
أنظر إلى البيت القديم في مطرِ الفجر
مِن الماء تتشكل الأزهار جميعا
تُذكِرها الشمس، عبر السحب البيض، بذلك
تمسُ الخليطَ المنتشر فوق التل
وألوانُ "الأخرة" المغسولة
تلك التي عاشت هناك قبل أن تولدَ أنت
أنظر كيف تستيقظ دون حيرة
على الرغم من أن العالم أجمع يحترق

يقرأ القصيدة في آخر مشهد من الفيلم، وهو يجلس عند باب بيته الفلاحي، بملابس تبدو جاهزة للعمل الزراعي.

كان "ميرون" في صباه يكتب "ترانيم" كنائسية للمصلين، لأن أباه كان قساً. وشحنة التَرانيم الروحية كمنت في قصيدته حين نضج. صار كثيرَ التنقل: مايوركا الاسبانية حيث التقى الشاعر الانكليزي "روبرت كرَيْف"، وانكلترا حيث سيليفيا بلاث وتيد هيوز، وفرنسا، وأخيراً هاواي وأستاذه البوذي الذي تعلم على يديه فلسفة الزَن Zen. تمتع بغنى الخبرة الحية مع الإنسان، فوقف ضد الحروب، وحرب ڤيتنام خاصة، ولعل ديوانه الشهير "القمل" The Lice مستوحىً من موقفه هذا. وتمتع بغنى الطبيعة، صار يرعاها في قصيدته، ويرعى قصيدته فيها. كما تمتع بغنى المعرفة، تكشف عنها ترجماتُه عن لغات عدة: الاسبانية، الفرنسية، اللاتينية، الإيطالية، السنسكريتية، العبرية والانكليزية القديمة.

قصيدته تمتّعت، بدورها، بغنى التنوع الشكلي؛ من المحافظة، إلى الجرأة في خلخلة الوزن، والتخلي عن علامات الترقيم جملة. وبغنى المضامين التي بدأت أسطورية، ثم حيوانية، ثم احتجاجية، ثم تكرست للطبيعة مع مسحة حلمية من التأمل الفلسفي.

في عام ٢٠١٠ شارك في إنشاء "مؤسسة مرون" لصيانة الطبيعة، وهي مؤسسة غير ربحية مكرسة للحفاظ على منزله الذي تم بَناؤه يدوياً، مع ١٨ فداناً يضم حقلاً من أشجار النخيل النادرة، التي تُعد الأكبر في العالم.

قصيدة "الذكرى السنوية لموتي"

في كل عام دون أن أعرفه أكون قد تجاوزت اليوم
عندما ستلوحُ لي النيران الأخيرة
والصمتُ يحمل المسافرَ الدؤوب على الرحيل
مثل شعاع النجمة الكليلة
حينها لن أعود أرى نفسي داخل الحياة
وكأني داخل ثياب غريبة
لن أفاجأ بالأرضِ
وبالحب لامرأة واحدة
وباللاحياء الذي يعتري الناس
أو كأني الآن أكتبُ بعد ثلاثة أيام من المطر
مصغياً إلى الطائر يغنّي والهطولِ يتوقف
منحنياً بإجلال لما لا أعرف

كان "ميرون" في صباه يكتب "ترانيم" كنائسية للمصلين، لأن أباه كان قساً. وشحنة الترانيم الروحية كمنت في قصيدته حين نضج.

محطات ثقافية

(التراث العراقي إلى أين؟) في الحوار الإنساني

تضيف مؤسسة الحوار الانساني بلندن الاربعاء نعمان منى في أمسية ثقافية يتحدث فيها عن التراث العراقي المادي والمعنوي وتحديات الحفاظ عليه.

ونعمان منى، معمار استشاري، ولد في العراق ودرس العمارة في بريطانيا. عضو المجمع الملكي للمعماريين البريطانيين RIBA ونقابة المهندسين العراقيين. عمل في عدد من المكاتب المعمارية البريطانية وشغل منصب مدير عام في آخرها. عمل في العراق في منتصف السبعينيات في مكتب رفعة الجادرجي ثم مع معاذ الآلوسي وافتتح مع د. جاسم الدباغ مكتب "منى والدباغ" للاستشارات المعمارية الى ان اضطر للعودة الى بريطانيا في عام ١٩٨٠. تعاقد مع البنك المركزي العراقي في عام ٢٠١١ لإدارة مشروع المبنى الجديد في بغداد والذي صممته المعمارية العراقية زها حديد ساهم في التفاوض لتحديد شروط التعاقد مع مكتب زها حديد وفريقها الاستشاري ثم الاشراف على عملية اعداد التصاميم المعمارية والهندسية للمرحلتين الأولى والثانية. أصدر عام ٢٠١٦ كتاب "الأسس العملية لإدارة المشاريع والعمل الهندسي" عن مركز البيان للدراسات والتخطيط. له مساهمات واسعة في العمل المدني حيث ساهم في تأسيس المنتدى العراقي في بريطانيا عام ١٩٨٧ وكان رئيس هيئته الإدارية لعشر سنوات. كما عمل متطوعاً في جمعية الأمل العراقية التي تأسست عام ١٩٩٢ وكان رئيس مجلس أمنائها الى عام ٢٠١٥.

عواد ناصر في "بيت الحلزون"

صدر للشاعر عواد ناصر ديوانه الجديد "بيت الحلزون" عن دار النشر المغربية بطنجة "سليكي اخوان".

يحتوي الديوان على أربعين قصيدة تناوبت بين التفعيلة والنثر. يقع الديوان في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط.

تتقاطع في الديوان رؤى متقاطعة ومنقطعة لكن ثيماتها الرئيسة تتلخص بالوطن والحرب والحب والمنفى والوحدة، بينما تتخلق صوره الشعرية بين الواقعي والسريالي، كل يغذي الآخر ببعده الخاص.

كتب الشاعر/الناقد علي الفواز:

"شعرية عواد ناصر تكمن في استنطاقه التفاصيل اليومية، وفي استعادته الشغوفة لحمولاتها المتوهجة، إذ تتخلص البنية الشعرية من معيارية البلاغة، ومن سطوة الجملة النحوية، باتجاه خلق حساسية لحضور الجملة الثقافية بوصفها الجملة الشفيفة، الرخوة، المطاوعة، الجملة النسقية ومجازرها الكلي، والتي تقوم أساساً على الكشف عن المضمر، مقابل التماهي مع تخصيب المعنى والتمركز في الصورة.

عواد ناصر من أكثر شعرائنا هوساً بغواية الخروج عن الخزائن وذاكرة الغبار، فهو مسكون باللغة التي تتعرى وتتمرأى وتبيح لنفسها أن تكون جسداً، تشغله اللذة والحكاية والذكرى واليوميات التي لا تهرب بعيداً عن القصيدة".

بينما كتب الشاعر فاضل السلطاني:

"لا أرى في عواد ناصر شاعر التفاصيل اليومية التي ارتبطت بشعر سعدي

يوسف. إن أحد عناصر شعر عواد ناصر، عدا مشهديته ومادته الأساسية: الناس، هم عنصر السخرية، وهذا نادر في الشعر العراقي، وحتى في الشعر العربي، إذا استثنينا أمل دنقل، وهذا عنصر حاضر في الكثير من قصائد عواد، أحياناً يحضر كتعليق يعترض مسار القصيدة فيخفف من فجائعية الحدث، أو يجعلنا نسخر من ظاهرة أو حالة ما، وحتى من الشاعر نفسه ومن أنفسنا أيضاً... وقلما نرى عواد ناصر يلجأ للأسطورة، مثلاً، وهذا ما لجأنا إليه في قصائدنا الأولى، أو إلى القناع يسقطه على الواقع مباشرا وينهل منه مادته".

من قصائد الديوان:

"مبتهجٌ بحوارٍ خاص:
مَعَ أوراقٍ سقطَتْ من نصٍّ خريفٍ أصفرْ،
مَعْ حلزونٍ يكتبُ شعراً باللغة اليابانية،
مَعَ تلك الحلزونة وهي تهيئُ ثدييها
للحلزونِ الجيكولو،
مَعَ بيضِ الحلزوناتِ المدفونِ بتربةِ ذاكَ الحقلِ الغافل،
مع نفسه في لحظة يأسٍ مطبقْ،
مع ذعرٍ مَن ملحٍ،
كالسمِّ القاتلْ،
مَعَ قومٍ من جنسه: قومِ البطنِ/القدمياتِ الزحّافاتْ
مع من لا يقوونَ على السيرِ بقاماتٍ منتصبات
(ليس كمثلي أحملُ بيتي على ظهري)..
مَعَ مَن يمضونَ إلى النومِ بلا أسئلةٍ عمّا يحدثُ للعالم،
ولهُ ولعٌ بالفجرِ تبلّلُهُ ساقيةٌ تركضُ،
كالعذراءِ، على حجرٍ باردْ،
وله، أيضاً، حاسةُ شَمٍّ خطرةْ،
مثلاً: شمّ وزيراً ما ليصيحَ به: أنتَ وزيرٌ فاسدْ".

أدباء ذي قار يستعدون لإطلاق مهرجان الحبوبي الإبداعي بنسخته الخامسة

يجري اتحاد الادباء والكتاب في ذي قار الاستعدادات النهائية لاحياء مهرجان الحبوبي الابداعي بنسخته الخامسة الذي من المقرر ان تنطلق فعالياته يوم ٢١ من الشهر الجاري ولفترة ثلاثة ايام وذلك بعد توقف دام لسبعة اعوام. وقال رئيس اتحاد ادباء وكتاب ذي قار الدكتور عبد الامير الحمداني للمدى أن " اتحاد ادباء ذي قار استكمل التحضيرات النهائية لانطلاق فعاليات مهرجان الحبوبي الإبداعي الخامس دورة الشاعر الراحل عقيل علي ومن المقرر ان ينطلق المهرجان اعتبارا من يوم ٢١ كانون الاول الجاري ولغاية ٢٣ منه".واضاف ان " المهرجان الذي توقف لمدة سبعة اعوام سيشهد مشاركة ١٠٠ شخصية فنية وثقافية من عموم المحافظات العراقية فضلا عن أدباء وفناني محافظة ذي قار".

منوها الى أن " فعاليات المهرجان تتضمن جلسات ومحاور ادبية ونقدية وقراءات شعرية وعروض مسرحية وسينمائية ومعارض فنية تشكيلية وفوتوغرافية وفولكلورية فضلا عن نشاطات موسيقية وغنائية واناشيد وطنية".مشيرا الى أن " ادارة المهرجان كرست يوم من ايام المهرجان للاحتفاء بانضمام اهوار واثار ذي قار للائحة التراث العالمي".لافتا الى ان " فعاليات المهرجان ستقام على قاعة بهو البلدية والمركز الثقافي في الناصرية وفندق كوديا ومدينة اور الاثرية ".مشيرا الى أن المهرجان ياتي ضمن انشطة اتحاد الادباء والكتاب في ذي قار الخاصة بنشر الوعي ودعم المشهد الثقافي وتفعيل دور المثقف في المجتمع ولاسيما في مرحلة ما بعد القضاء على داعش.وعن الجهات الداعمة للمهرجان قال الحمداني ان " المهرجان يقام بالتنسيق مع المركز العام لاتحاد اباء وكتاب العراق وبرعاية ودعم من رئيس مجلس المحافظة وغرفة تجارة ذي قار واتحاد رجال الاعمال في المحافظة. يذكر ان عام ٢٠٠٣ قد شهد انطلاق اولى فعاليات مهرجان الحبوبي بدورته الاولى التي حملت اسم الشاعر محمد سعيد الحبوبي، فيما حملت الدورة الثانية اسم الشاعر مصطفى جمال الدين، بينما كان اسم الشاعر رشيد مجيد عنوانا للدورة الثالثة من المهرجان في حين حملت الدورة الرابعة من المهرجان التي اقيمت عام ٢٠٠٩ اسم الشاعر جميل حيدر.

طبعة عربية لديوان شاعرة إيرانية

صدر حديثاً للشاعرة الإيرانية سناز داوود زاده فر، مجموعة شعرية بعنوان "أمشي على حروف ميّتة"، وهذه الطبعة صدرت عن دار تموز في العاصمة السورية دمشق، وتعدّ من أولى الطبعات العربية التي صدرت لديوان إيراني.يفتح هذا المنجز أفق التلقي على كثافة الرؤى في تشيّع واع بخطاب صوفي لافت، يعرف كيف يفجّر زخما منَ أسئلة الموت الذي يحاصر راهننا ويطوّقه باغتيالات جبانة لبذور المحبة والسلم والجمال، ويطعن إنسانيتنا في الصميم، على نحو فجائيّ، ترسم ملامح فصوله، يد المجهول معضودة بلغة عارية والجة في طقس الإبداع المزدان بالنفس الساخط وتفاصيل التجربة المقامرة.